

## المفاهيم والأبعاد

يعد مفهوم التمثل أحد مفاهيم العلوم الإنسانية، التي تم تناولها من قبل عدّة باحثين وعلماء، ولا يزال يستأثر باهتمامهم منذ عقود... فهو في المستوى اللغوي يأتي من الأصل (مثل) وتمثل الشيء أي تصور مثاله، فالتمثل جزء من التمثيل، وهو بمثابة تصورات تتولد في الذهن عن الموضوع الذي يتم الحديث عنه، وقد وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم بقوله ((فاتخذت من دونهم حجاباً فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً))<sup>(١)</sup>. وفي المنجد: (تمثل أو تصور الشيء: توهم صورته وتخيله واستحضره في ذهنه؛ وتصور له الشيء: صارت له عنده تمثيل مشخص أو صورة وشكل)<sup>(٢)</sup>. وفي المعجم الوسيط ماثل الشيء شابهه، ويقال ماثل فلان بفلان شبهه به... ومثّل فلان بفلان: مثّل ((بالتشديد للمبالغة)) الشيء بالشيء تمثيلاً، وتمثالاً: شبه به وقدره على قدره ومثّل الشيء لفلان: صور له بكتابة أو غيرها حتى كأنه ينظر إليه... وتمثل الشيء: تصور مثاله، ويقال: تمثّل الشيء له.<sup>(٣)</sup> وقال الطباطبائي: ((فإن معنى تمثّل شيء لشيء في صورة كذا هو تصوّره عنده بصورته وهو لا صيرورة الشيء شيئاً آخر، فتمثّل الملك بشراً هو ظهوره لمن يشاهده في صورة الإنسان))<sup>(٤)</sup>.

١ - سورة مريم: ١٧

٢ - المنجد في اللغة والأعلام، لويس معلوف، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٢: ٤٤٠.

٣ - المعجم الوسيط، مجموعة مؤلفين، مجمع اللغة العربية، ٢٠١١، ط٥: ٨٧٨.

٤ - الميزان في تفسير القرآن، السيد محمد حسين طباطبائي، مؤسسة الاعلمي للمطبوعات، بيروت، ج١٦، ١٤١٧: ٣٥.

وعند الانتقال إلى المعنى الاصطلاحي نجد أن مفهوم التمثل يأخذ مديات أشمل ليشمل العلوم الإنسانية كافة. والتمثل (يقوم بتركيب المادة التخيلية، وينظم العلاقة بينها وبين المرجعيات الثقافية والوقائعية بما يجعلها تتدرج في علاقة مزدوجة مع مرجعياتها<sup>(١)</sup>)؛ فالتمثل ((ضرب من العمليات التي تدور حول طريقتنا في النظر إلى أنفسنا وللآخرين، وطريقتنا في عرض أنفسنا وتقديم الآخرين أو عرضهم أو استحضارهم، كما تصورهم الثقافة التي تمارس التمثيل)<sup>(٢)</sup>. ويرتبط التمثل (بالوظيفة المعرفية التي تتجلى في بناء الصور والتصورات عن الذات والآخر، وما تستنبطه من أنساق ثقافية مهيمنة))<sup>(٣)</sup>.

إن الحديث عن الآخر يعني إكتشاف الذات، وعلاقة الذات مع الآخر على الأصعدة ثقافياً وإجتماعياً وحضارياً وأيدولوجياً سياسياً واجتماعياً وثقافياً، وهذه العلاقة قائمة على أساس أن الذات هي المكون الأساس في حركة الفكر والثقافة بشكل عام، وهي الأصل، والصواب، والآخر هو مجرد ظلٍ لهذه الذات، وهو فرع عنها، وهو الخطأ لكل تصوراتها، وتظلُّ العلاقة بين الذات والآخر علاقةً جدليةً إفتراضية، فقد تكون الذات على حساب الآخر، أو إلغاء الآخر

١ - ينظر: تمثلات العنف في الرواية العراقية بعد عام ٢٠٠٣، غانم حميد عبودي، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٤: ٢، (أطروحة دكتوراه).

٢ - تمثيلات الآخر، صورة السود في متخيل العربي البسيط، د. نادر كاظم، مطبعة سيكو، بيروت، ٤، ٢٠٠٤: ١٩-٢٠.

٣ - تمثلات الهوية النسوية في رواية (دينا لعلوية صبح)، محمد بو عزه، مجلة تبين، مج ٥، ع ٢٠١٧: ٣١.

لصالح الذات، وهذه العلاقة قائمة على ثنائية الأشياء، وعلاقة التضاد القائمة بينهما، وأستحالة الدمج بين هذه الثنائيات.

وما يهمننا هنا الوقوف على تمثلات الذات والآخر في مجموعة (الشمس التي وراء القمة) عبر الوعي بالذات والآخر وتمثيلهما ثقافياً وفنياً، من خلال تحليل الظرف الاجتماعي والثقافي والحضاري لهما بما تحمل المفردة من عمق بوصفها نسقاً من القيم والمفاهيم والسلوكيات المرتبطة بسمات ومواضيع يحدد معالمها الوسط الاجتماعي من العادات والتقاليد والنظم والأعراف والقيم، وكذلك الوسط الثقافي ب حياة الافراد والجماعات، هذا الوسط الذي يؤدي دوراً في تحديد مجتمع ما. وبذلك تكون الصورة المتخيلة في ذهن السارد هي الصورة التي يمكن الاكتفاء بها للكشف عن تجليات ذلك الواقع سردياً؛ لأنه حين يقوم بتمثل موضوعه يلجأ إلى المخيلة محتماً بها من أجل أعطائه الكثافة الرمزية والدلالية التي يتطلبها<sup>(١)</sup>.

إن الصراع بين الذات والآخر، صراعٌ طويلٌ يعود إلى البدايات الأولى لوجود الإنسان على هذه الأرض، ويدخل في العلاقات الإنسانية، وقد تقترب هذه الغيرية أو تبتعد بين الأطراف، ولكنها لا تلغى بل تبقى قائمة، لأن العلاقات الإنسانية بطبيعتها قائمة على أساس التباين لا التمايز.

١ - ينظر: الرواية واسئلة ما بعد الاستعمار، د. ادريس الخضراوي، دار رؤية، ٢٠١٢: ٥٦.

وسنتطرق الى بعض المفاهيم والابعاد التي لها علاقة بمفهومي الذات والآخر:

### أولاً: الذات والآخر في اللغة والاصطلاح

(نو وآخر) جذران لغويان وردت لهما معانٍ جمّة في كتب اللغة ومعجماتها، وذلك حسب السياقات والمقاصد التي فيها، وما جاء منها متوافقة مع المعنى الذي نبتغيه قليلاً قياساً بسعة المادة اللغوية التي يتشعب منها هذان الجذران. وقال الليث: (( يقال قلت ذات يده، قال: وذات ههنا إسم لما ملكت يده كأنها تقع على الأموال وكذلك عرفه من ذات نفسه كأنه يعني سريرته المضمرة ))<sup>(١)</sup>، وقال ابن الأنباري في قوله عز وجل ((انه عليم بذات الصدور))<sup>(٢)</sup> معناه ((بحقيقة القلوب من المضمرات))<sup>(٣)</sup>.

فالذات في المعجم لا تكاد تختلف عن الاصطلاح فعند الجرجاني، الذاتي لكل شي: ما يخصه ويميزه عن جميع ما عداه وقيل: ذات الشيء نفسه وعينه... والفرق بين الذات والشخص: أنّ الذات أعم من الشخص؛ لأنّ الذات تُطلق على الجسم وغيره، والشخص لا يُطلق إلا على

١- لسان العرب، ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم، ت٧١١هـ، دار صادر، بيروت ١٤١٥هـ، ط٣، ج٣: ١٣.

٢- سورة الزمر: ٧.

٣- لسان العرب، المصدر نفسه: ١٣.

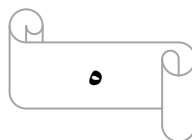
الجسم إذن يطلق الذات عل باطن الشيء وحقيقته<sup>(١)</sup>. خلاصة ذلك أنّ الذات هي الأنا، والأنا لا يعبر فقط عن كونه الأنا الحاضرة ولكنها تعبير كذلك عمّا كُنْته وعمّا سوف أكونه. فذات الشخص هي كيان يمتد زمنياً من لحظة الميلاد إلى لحظة الموت فهي تتبني منذ ولادته لأنها تشكل كيان الوجودية وكثافتها في الشخص<sup>(٢)</sup>.

أما الآخر، وهو بفتح الخاء فيشير الى الغائب<sup>(٣)</sup>، ويأتي بمعنى غير "كقولك رجل آخر وثوب آخر"<sup>(٤)</sup> وبهذا الصدد يشير (الأزهري) الى الآخر فيقول: معنى آخر: أي شيء غير الأول الذي قبله<sup>(٥)</sup>.

كقول المتنبي:

ودع كل صوتٍ غير صوتي فأنتي أنا الطائر المحكى والآخر الصدى<sup>(٦)</sup>.

- 
- ١ - ينظر : معجم التعريفات ( لعلي بن محمد الجرجاني (ت ٨١٦ هـ )) وضع حواشيه محمد باسل عيون السود، الطبعة الثانية ، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م : ج١: ٩٣، والمعجم الفلسفي: ج١: ٥٧٩.
  - ٢ - ينظر : سيكولوجية القهر والإبداع ، د. ماجد مورييس إبراهيم، دار الفارابي، بيروت ، لبنان، ١٩٩٩م : ٢٥-٢٦.
  - ٣- العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري، ت ١٧٠هـ، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، مادة (آخر).
  - ٤- لسان العرب، المصدر السابق، مادة (آخر).
  - ٥- تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور، ت ٣٧٠هـ، المحقق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، ج٢: ٢٢٧.
  - ٦- ديوان أبو الطيب المتنبي أحمد بن الحسين الكوفي (٣٠٣هـ - ٣٥٤هـ)، دار المعارف، ط٤، ١٩٩٩: ٣٧٣ .



الآخر اصطلاحاً: يُعد مصطلح الآخر من المصطلحات المهمة؛ إذ يتشظى هذا المصطلح ليجمل دلالاتٍ تتشابهُ علاقاتها في الذات، فالآخرُ قد يكون الدين، واللغة، أو السياسة، أو الحضارة<sup>(١)</sup>، وفي المنظور الأدبي يأخذُ أنماطاً متعددة؛ أي أن أنماطَ حضوره وتشكلاته في الشعر والأدب متعددةٌ فقد يكون إنساناً، أو مكاناً، أو واقعة<sup>(٢)</sup>.

### ثانياً: الذات والآخر في الدراسات النفسية

تشكل الذات بُعداً مركزياً في الشخصية أو الشخصية الكلية، فقد احتل هذا المفهوم مدى واسعاً في المجالات النفسية؛ لأهميته في حياة الفرد، والذي يستعرض الأدبيات في مجال الذات يخرج بنتيجة، ألا وهي أن وظيفة الذات الأساسية هي السعي لتكامل الشخصية، وأثبتت الذات من خلال التكيف مع الآخر لتحقيق وجودها<sup>(٣)</sup>.

إن السؤال الذي يمكن أن يُطرح هو: من هي الذات ومن هو الآخر؟ والإجابة عن هذا السؤال قد تبدو سهلةً في جانبها المنطقي، أو النظري، لأن (الذات) تعني ذات المسيطر على الوضع القائم، والذي يرى نفسه صاحب الحق في القيادة والسياسة وتمثيل الأمة والسيطرة

١- الآخر واثره في شعر الاعشى الكبير، إحسان الديك، جامعة النجاح الوطنية نابلس، ٢٠٠٩: ٩ .

٢- الآخر في الشعر العربي الحديث، نجم عبد الله كاظم، المؤسسة العربية للدراسات والبحوث، ط٢، ٢٠١٠: ٢١ .

٣- صورة الذات في الشعر الاندلسي عصر الطوائف والمرابطين: صادق جعفر عبد الحسين، جامعة القادسية- العراق، كلية الاداب، ٢٠١١: ١ أطروحة دكتوراة.

عليها، وما عدا ذلك فهو الآخر المرفوض؛ لأنه لا ينسجم مع الذات المسيطرة. وهنا تظهر أنوية الذات ونرجسيتها، فمفهوم الذات والآخر يتموضع في وضعية إجتماعية ثقافية وسياسية دينية، فالأنا - الذات - مع الجماعة تكون في مقابل الآخر. ((مفهوم الآخر في علم النفس فيشير إلى مجموعة من السمات والسلوكيات الاجتماعية وال نفسية والفكرية التي تنسبها ذات - أو فرد أو جماعة - إلى آخرين، لتبين أنهم غيرها أو أنهم لا ينتمون إليها، عرفا أو طبعا. أي أن الوعي الذاتي يقتضي الشعور بالآخرين، فكل ذات تتحول من أنا إلى آخر بحسب موقعها، والنظر إليها ولذا جاءت الاختلافات في تعريف الآخر ومفهومه. وبالعودة إلى المنظور النفسي نجد الآخر هو الكائن المختلف عن الذات وهو مفهوم نسبي يتحدد بالقياس إلى نقطة مركزية هي الذات التي ليس من صفاتها الثبات))<sup>(١)</sup>

وعادة ما ينظرُ الأنا إلى نفسه على أنه الأكملُ والأصوبُ والأفضل، والآخر هو الناقصُ والخاطئُ والأسوأ، وهذه النظرية العدائية أو الضدية بين الذات والآخر هي مصدر تعدد الذات والآخر في مجالات السياسة والفكر والفلسفة والأدب ... إلى غير ذلك من مجالات الحياة والمعرفة.

---

١ - تمثلات الآخر في كتب الرحلة العربية رسالة ابن فضلان انموذجا، منى حسن علي، كلية الآداب، جامعة البصرة، ٢٠١٨: ١٠، اطروحة دكتوراة.

ويُعد (وليم جيمس) نقطة الإنتقال بين الطرائق القديمة والحديثة في دراسة الذات، وقد حدد أسلوبين لدراسة الذات هما: الذات العارفة وعدّها لا قيمة لها في فهم السلوك؛ إذ هي تتضمن مجموعةً من العمليات العقلية كالإدراك والتذكر والتفكير، أما الذات بوصفها موضوعاً وهي الذات التجريبية العلمية فـ (تتضمن) :

١ - الذات كما يعتقد الفرد بوجودها في الواقع، وهو ما أُصطلح عليه بين علماء النفس بالذات المدركة (الواقعية).

٢ - الذات كما يراها الآخرون، وهي تقابل ما أُصطلح عليه بـ (الذات الاجتماعية).

٣ - الذات كما يتمنى الفرد أن يكون عليه، وهي تقابل ما أُصطلح عليه (بالذات المثالية)<sup>(١)</sup>

وقد ابتعد عددٌ من أتباع فرويد بقدرٍ كبيرٍ عن طريقته البايولوجية وركزوا على التأثير السريع للمجتمع في عملية النمو وقد زاد الإهتمامُ بإتجاه الأنا و النواحي الإجتماعية و إتجاه علم النفس الأنا وبصورة كبيرة نتيجة لجهود (اريك اريكسون) و ( ميللر ) مع أن مفهوم الأنا من المفاهيم الأساسية التي أبرزتها نظرية التحليل النفسي، إن هنالك أفكاراً عن الذات ظهرت قبل العصور الحديثة اذ كان بعض فلاسفة العصور الوسطى يعتقدون أن الأنا هي الشخص ككل. وقد فتحت

١- سيكولوجية الشخصية، قدراتها، قياسها، نظرياتها، سيد محمد غنيم، دار المعارف، ٢٠٠٠، القاهرة : ٦٧٧.



هذه الصياغة الباكرة الطرق إلى ذلك المفهوم الذي من خلاله تم إعتبار الأنا مجردَ جانبٍ من جوانبِ الشخصية وليس الشخصية ككل.

إن الذات والآخر جزءٌ من تشكيلةٍ إجتماعيةٍ ودينيةٍ وثقافيةٍ واحدةٍ ولا يمكن الفصلُ بينهما إلا على مستوى الخلافِ القائمِ على أساسِ نظرياتٍ ومصالح، تجعلُ من صاحبِ النظريةِ أو المصلحةِ نداً للآخر أو خصماً له. ((وهكذا يكبر الآخر، ليتجلى قطبا إشكالية الذات والآخر في علاقة جدلية فكلماً أنزوى وتقهقر (الأنا) توسع وتقدم وانتشر الآخر.))<sup>(١)</sup>

### ثالثاً: الذات والآخر في الدراسات الفلسفية

الإنسانُ ذاتٌ في مقابلِ العالمِ الذي هو موضوع لها، والفكرةُ المؤسسةُ لفلسفةِ الذات بدأت مع ديكارت وقولته المشهورة: "أنا أفكر إذن أنا موجود"<sup>(٢)</sup>.

ونقرأ في معجم (لالاند الفلسفي) حول مفهوم الذات أنه: "نزوع إلى رد كل الأشياء إلى الذات، وايضا حب الذات حصري أو مفرط؛ سمة ذلك الذي يستلحق مصلحة الغير بمصلحته الذاتية ويحكم من هذه الزاوية على كل الأشياء"، ويستشهد (لالاند) بعبارة الفيلسوف واللاهوتي الفرنسي (بليز باسكال)، يقول فيها: للذات خاصيتان، فمن جهة إنها غير عادلة من حيث إنها تجعل من

١ - أدوات النص - دراسة -، محمد تحريشي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، د.ط، ٢٠٠٠: ٨٩.

٢ - سلسلة نوابغ الفكر الغربي (ديكارت)، نجيب بلدي، دار المعارف، ط٢، ١٩٩٩: ٢٠٠.

نفسها مركزاً لكل شيء، وهي من جهة أخرى مضايقة للآخرين من حيث أنها تريد استعبادهم، ذلك لأن كل ذات أو أنا هي عدو وتريد أن تكون المسيطرة على الكل<sup>(١)</sup>.

وقد تطرق الكثير من الفلاسفة الغربيين والعرب إلى مفهوم الذات والآخر في مؤلفاتهم:

يقول أفلاطون (٤٢٧-٣٤٧م): ((إن الأشياء غير متحركة بذاتها وتتحرك بفعل قوة خارجية أي يكون هنالك شيء يتحرك بذاته ليحركها وخلاف ذلك تكون الأشياء جميعاً غير حية وغير متحركة بذاتها وقد اقتضى ذلك وجود شيء متحرك وهو مبدأ الحياة، والتفكير والإحساس وهو النفس التي يتميز بها الكائن الحي عن غيره))<sup>(٢)</sup>.

أما أرسطو (٣٨٤-٣٢٢م): فيرى أن الإنسان ((مركب من الصورة والهيولى فلا يمكن ان يكون الجسم كمال النفس بل النفس هي كمال جسم ذي طبيعة معينة))<sup>(٣)</sup>.

لذا بوسع الفيلسوف أن يتخذ من تجاربه الشخصية نقطة انطلاقه وأن يغوص في طيات وجوده الذاتي ليكتشف الحقيقة التي توصله إلى نقطة ارتكازه<sup>(٤)</sup>.

وقد ألغى هيجل (١٧٧٠-١٨٣١م) الإنسان فألقى (كيركغارد) باللوم على هيجل؛ لأنه أغفل الفرد وتحقيق ذاته ووجوده فلم يظهر أمامه سوى الإنسانية ومراحل انتقالها عبر التاريخ<sup>(١)</sup>.

١- موسوعة لالاند الفلسفية، لالاند اندرية، ترجمة خليل أحمد خليل، منشورات عويدات للنشر، بيروت، ٢٠٠٨ : ٣٢٩.

٢- النفس الإنسانية، محمد جلوب، مطبعة كامبرج، ١٩٨٣، ط٣: ١٠٨-١٠٩.

٣- كتاب النفس لأرسطو، أحمد فؤاد، دار الاحياء، مصر، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٩: ٤٨-٤٩.

٤- مشكلة الفلسفة، زكريا ابراهيم، مكتبة مصر، مصر، القاهرة، ط٢، ١٩٩٨: ٨٩.

ويخالفه بهذا الرأي كيركغارد (١٨١٣-١٨٥٥م) إذ يقول: علي أن أجد الحقيقة والفكرة التي من أجلها أريد أن أحيأ وأموت فكل فرد بذاته إنه عالم له قدس أقداسه الذي لا يمكن أن تتفد إليه يد الآخر<sup>(٢)</sup>.

أي يحاول أن يعرف حقيقته التي توصله لمعرفة ذاته بنفسه وهي الفكرة التي من أجلها يريد أن يحيأ في هذا العالم، والإرادة هي ما تحقق للفرد وجوده.

كما وقد أولى الفلاسفة العرب إهتماماً خاصة بالنفس البشرية مُمثلةً بالذات وكما يلي:

فالفارابي (٢٦٠-٣٣٩ هـ) يقول: ((ما دامت النفس كمال الجسم فان العقل هو كمال النفس))<sup>(٣)</sup> والعقل هو ((الجوهر الكلي و القوة الطبيعية للنفس مما له أثر في ادراكه للأشياء بحقائقها))<sup>(٤)</sup>.

أما أن ابن سينا (٣٧٠-٤٢٧ هـ) فيرى أن النفس ((حقيقة مغايرة للجسم ومميزة عنه كل التميز فلا يصح أن نقول ان النفس صورة الجسم؛ لأن هذا القول يجعل مصير النفس تابع لمصير البدن))<sup>(١)</sup>

---

١- تطور الجدل بعد هيكل، امام عبد الفتاح، دار المعارف، ط٣، ١٩٩٩: ٢٨.  
٢- معنى الوجودية دراسة توضيحية مستقاة من اعلام الفلسفة الوجودية، جان بول سارتر وكيركغارد، دار الفكر، لبنان، ٢٠٠٥: ٢٧.  
٣- الفارابي، سعيد زايد، دار مكتبة الهلال، ط٣، ٢٠١٠: ٤٧.  
٤- الفلسفة الطبيعية والالهية، غيضان سيد علي، دار الفكر، لبنان، ط٣، ٢٠٠٩: ١٨١.

أما الغزالي (٤٠٥-٥٠٥هـ) فيرى أن ((النفس البشرية لها معنيان بعد تقسيمها ومعرفة صفاتها تبين أنها مدمومة غاية الدم، محمودة لأنها نفس الانسان أي ذاته وحقيقته العالمية ب الله تعالى))<sup>(٢)</sup>.

#### رابعاً: الذات والآخر في الدراسات الاجتماعية

يُولد الإنسان عاجزاً ضعيفاً، فتزوده البيئة الاجتماعية بوسائل حفظ البقاء، لذلك فهو مدين للمجتمع ببقائه، مثلما هو مدين للطبيعة بوجوده. الأمر الذي يؤكد أن في كل فرد منا وجودين: أحدهما إجتماعي يأتينا عن طريق البيئة، والآخر فردي يرجع إلى عناصر حياتنا الذاتية، ففي كل واحد منا أثر إجتماعي، ولا معنى لوجود الفرد إلا إذا نُسب إلى الجماعة<sup>(٣)</sup>.

لكن على الرغم مما سلف، فإن الإنسان لا يتوصل إلى الشعور الحقيقي بشخصيته إلا حين يُجرد ذاته من الجسد، ولا يفتأ هذا التجريد يزداد حدة ووضوحاً حتى تصبح الشخصية ذاتاً متحققة الوجود بالفعل، وتسمى آنذاك ب الأنا عند علماء النفس الاجتماعي، الذين يقدمون العوامل المؤثرة في تكوين أنا أو الذات الإنسانية إلى ثلاثة عوامل، هي:

#### ١. العامل الحيوي: وهو مجموع الإحساسات الجسدية.

١- ابن سينا والنفس الانسانية، محمد خير حسن عرقوسي، حسن ملا عثمان، دار الاحياء، بيروت، لبنان، ٢٠١٠: ١١٥.

٢- احياء علوم الدين، الغزالي، دار المعارف، مصر، القاهرة، ٢٠٠٠، ج٣: ٤.

٣- علم النفس، جميل صليبيبا، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٩٨٤: ١٠٠.

٢. العامل النفسي: وهو مجموع الذكريات والتصورات والأفكار.

٣. العامل الإجتماعي: وهو ما يتصل بنا من آثار الحياة الاجتماعية<sup>(١)</sup>.

الأمر الذي جعل الأنا أو الذات تتساءل في المجتمعات الإنسانية عن ماهية الآخر، فهل يكون ذلك الذي تريد أن تتجاهله، وهل هو المتواري وراء إستقطابات الهوية وأناية الفرد والنجسة، يولي منا موارد بذاته - وهو أيضاً- على نحو القطيعة والنفرة من العرب من آخريه لا تعنيه، ولا تستغزه، ولا تغريه بمفازة التباري والتنافس والتمثل، بل تدفع به نحو هاوية عدم الإكتراث واللامبالاة في تعرّف ملمح الآخر وحقيقته.

وفي علم الاجتماع ينظر للأنا نظرة موسّعة ويربط مفهومه بالهوية الفردية ويضيف اليه تصور الشخص لذاته وخصائصه المعرفية والاجتماعية، وما يدور في فلكها من قيم وتقاليد موروثة ومكتسبة ويُعرّف بأنه فردٌ واعٍ لهويته المستمرة وإرتباطه بالمحيط و يشترط لوجوده حالة النحن، إذ لا نستطيع تصور الأنا قوة تتواجد في سلوكنا بمعزل عن النحن التي تحولها وتنفي فرديتها وتختزلها ضمن نطاقها،<sup>(٢)</sup> الذات الفردية متلازمة مع الآخر المجتمع، لا ينفصل أحدهما عن الآخر ويتمان بعضهما، وليسا ضدين حتى إن وجدت الذات في موقع الضد الاجتماعي من

١- علم النفس، المصدر نفسه: ٣٨٦.

٢ - تمثلات الأنا والآخر وتحولاتهما في رواية علي بدر، فاطمة حسين كرنوت المياحي، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة البصرة، ٢٠١٩: ٨. (رسالة ماجستير)

الآخر/المجتمع، فهي تسعى إلى إصلاحه.<sup>(١)</sup> ويذهب (إدوارسوجا) إلى أن مفهوم الذات والآخر مرتبطان ارتباطاً لا فكاك منه بمفهومي (الهنا) و (الهناك)، وأن ممارسة بناء الذات هي ممارسة إعادة بناء الفضاء بطريقة تكون ذات معنى وممكنة الفهم اجتماعياً<sup>(٢)</sup>

بناء عليه، جاءت فكرة "الطوتم" الذي كان بمنزلة الآخر عند الإنسان البدائي، وهو الحيوان أو النبات الذي ترتبطُ باسمه العشيرة عند الشعوب البدائية، فيحرمون أكله على أنفسهم، لأنهم يعدونه جدهم الذي أنحدروا منه، ويسمون أنفسهم به، ويطلقون عليه اسم العشيرة، وكذلك كانت ظواهر الطبيعة طوطماً، كما أعتقد الإنسان البدائي أن الآخر القوي والمهيّب الذي تجب الطاعة له هو النفس "التي تحمي الطبيعة، فالنفس حسب المفاهيم البدائية حيوانٌ مارداً ومستقرٌ يسكنُ في كل الأشياء وهو مبدأ الحياة"<sup>(٣)</sup>.

فيما بعد، سارت المجتمعات نحو التقسيم الطبقي، وصار الآخر مؤنسناً غيرياً؛ أي أن الإنسان أصبح آخره هو غيره الإنساني، وليس غيره الأسطوري، وبدا الأمر كما لو أن الآخر قدر طبقي لا مفر منه في منظورها، إذ قام التقديم على أساس سيدٍ وعبد، أغنياء وفقراء، فصار

١ - ينظر: ما هو التاريخ، ادوارد كار، ترجمة: ماهر كيالي وبيار عقل، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، د.ط، ١٩٧٦: ٢٧.

٢ - ينظر: الاستشراق جنسياً، أرفن جميل شك، ترجمة عدنان حسن، منشورات دار قدمس، دمشق، ٢٠٠٣: ٥٨.

٣ - تاريخ البشرية، توبي ارلوندي، ترجمة أحمد خليل، دار المعارف، مصر، القاهرة، ٢٠٠٦: ٢١٤.

الآخر لكليهما هو نقيضه. وهكذا، ينسحبُ هذا التقسيم على الحضارات الإنسانية من حضارتي سومر وأكد مروراً بالحضارة البابلية فالفرعونية فالإغريقية وصولاً إلى الحضارة العربية.

### خامساً: الذات والآخر في الدراسات الثقافية والأدبية المعاصرة

للذات والآخر حظهما في الدراسات الأدبية، فتعد الذات من أكثر الأفكار حضوراً في المعجم الغربي الحديث، وبهذا فنحن نتحدث عن الاختلاف بين ذاتنا الحقيقية وذوات الإعتيادية، لذلك أحياناً ننظرُ نظرةً معمقةً لذواتنا لنعرفَ حقيقة ذاتنا<sup>(١)</sup> أي أن معرفتي لذاتي لا تتم إلا من خلال معرفة الآخر لي، بيد أن وقفة الذات أمام الآخر باختلاف إطاره الثقافي والحضاري هي وقفةٌ منغمسة بالقلق والتوتر، بل هي وقفةٌ سرعان ما تتلبس بالرحيل متجهة نحو المختلف المغاير أملاً في الوصول إلى الكمال، الذي قد لا يتحقق فلا ينبغي سوى الرحيل إليه<sup>(٢)</sup>.

أن صورة الآخر لا تُقدم إلا مبطنة بصورة الذات، فتأتي الصورة مضاعفة (مزدوجة)، وإن صورة الآخر تستدعي بالضرورة صورة الذات وتلازمها كالظل، ولا تتفصل عنها، لتتجلى وإياها في مرآة واحدة، ومن ثم تفصح عن إرسالية أو مقصدية أي خطاب، وفي نهاية المطاف تزيل

١ - مفاتيح اصطلاحية معجم المصطلحات الثقافية والاجتماعية، طوني بينيت، ترجمة سعيد الغنامي، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠١٠: ٣٤١.

٢- القلم والسيف، ادوارد سعيد، دار الادب، بيروت، لبنان، ط٢، ٢٠٠٤: ٨٨.

النقاب عن النوايا الكامنة وراء هذه المقارنة أو المعارضة بين صورة الذات وصورة الآخر في إطار واحد<sup>(١)</sup>

لذا فإن الآخر هو اللازمة المنطقية لإستيعاب المغاير، بوصفه عنصراً فاعلاً في المبدأ الحوارى، الذي يصل بين مكونات الثقافة المنفتحة على مستوى الحضور الداخلى، للإندماج بالآخر المغاير على مستوى الحضور الخارجى في الأفق الحوارى، الذي لا تتغلق به الثقافة على نفسها<sup>(٢)</sup>، وهذا الأمر ينطبق على ثقافة الشرق لأن احتفاظ ثقافة الشرق بذاتها وأصالتها جعلها ترفض أن يذيبها الآخر أو تفقد خصائصها ومكوناتها<sup>(٣)</sup>، بل تسعى إلى السير في ركب الحداثة وفيها نوعاً من إحتفائها بنهجها ومكانتها خالقة وعالمة لتصنع عوالم جديدة كما صنع الله العوالم القديمة<sup>(٤)</sup>.

إن مصطلح الآخر من المصطلحات الفضفاضة التي تحتاج إلى تحديد في التسمية، وإلى إتفاق مفهومي واضح، إذ يتشظى "الآخر"، وتتسع دائرة معناه ليشمل حمولات دلالية تتشابك في علاقاتها مع الذات، فقد يكون الآخر "آخر" في العرق أو الدين أو اللغة أو السياسة أو

١ - ينظر: الآخر في المتخيل الشعري العربى السوسى خلال القرن ١٩، عبد النبى ذاكى، ضمن كتاب الأدب العربى السوسى قضايا ودلالات، منشورات كوثر، ١٩٩٩: ٦٨.

٢- حوارات الثقافات والثقافات، جابر عصفور، دار المعارف، مصر، القاهرة، ١٩٩٩: ٧.

٣- ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، يوسف القرضاوى، دار الشروق، مصر القاهرة، ٢٠٠٣: ٣١.

٤- الاستشراق، المعرفة، السلطة، الانشاء، ادوارد سعيد، دار الحكمة، مصر، القاهرة، ٢٠١٠: ١٤٤.



الحضارة، وقد تنشط الذات إلى "أنا" و"نحن"، وتصير الـ "نحن" آخر كما في حال الشنفرى وغيره من الصعاليك الذين تمردوا على قبائلهم، أو قد تتدغم الأنا في نحن ليكونا معا ذاتاً واحدة في مواجهة الآخر، كما قد يتعدد الآخر ويختلف باختلاف الفضاء الزماني والمكاني الذي يوجد فيه، وباختلاف حالات الذات وموقفها منه.

وهذا ما جعل العناية بالآخر وطبيعة الاتصال به والإفادة منه والحوار معه تمثيلاً لذاتنا الثقافية وما أحرزته من وعي يناط به القدرة على الحوار مع الآخر وإستيعاب ثقافته والتأثر به<sup>(١)</sup>، محاولاً رصد إنتاج الآخر والاختلاف بثقافته ومعرفة طبيعة ما يدور في ذهنه، ليستعار منه أفكار ونماذج جاهزة، بيد أنه يمكن أن يضيف عليها أسلوبه الممتع الأخاذ.

ويؤكد ( ادوارد سعيد ) أنه ( ليس من صالح الغرب بصفة عامة والولايات المتحدة بصفة خاصة تكريس الصدام بين الثقافات والحضارات، بل عليها أن تعمل على تنميته بدلاً من هذا العداء)<sup>(٢)</sup>، فالإنفتاح على الآخر - العالمي ما هو إلا إنفتاح على مفهوماته ليزدحم فضاء الثقافة العربية والإبداع العربي.

١- الذات والآخر فصول في الاعلام والقضايا والابداع، ماجد الصعيدي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ٢٠١٠: ٢.

٢- تغطية الاسلام، ادوارد سعيد، دار الفكر، لبنان، بيروت، ٢٠٠٣: ٧٨.

وترجع فكرة الصراع والمواجهة الحضارية إلى قيام الشرق في رحلة التدارك الحضاري "إرسال أبنائه في بعوث علمية إلى أوروبا للحصول على معارفها وعلومها ثم العودة من جديد إلى شرقهم المتخلف للنهوض به، وبعث دم جديد فيه، لكن هؤلاء الشبان الذين ذهبوا يطلبون العلم في أوروبا، وجدوا أنفسهم فجأة في بيئات تختلف عن بيئتهم وحضارة غير حضارتهم، وجابهتهم ثقافات مختلفة ومفاهيم فكرية وعادات اجتماعية وقيم لا عهد لهم بها<sup>(١)</sup> وهذا دفعهم واعين وغير واعين إلى عقد مقارنات وموازنات بين صورة الذات الشرقية، وما تتسم به من صفات نفسية واجتماعية وثقافية، وبين صورة الآخر التي هي: "مجموعة السمات والمعتقدات والسلوكيات والأفكار التي تنسبها للآخرين سواء كانوا من الأفراد أو الجماعات أو الشعوب"<sup>(٢)</sup>.

وبدأت رؤية الذات للآخر إنبهارية سلبية في أول الأمر مع بداية الإحتكاك بالغرب في القرن التاسع عشر وذلك من خلال المفكرين الذين سجلوا في صورة انطباعية - إعجابهم بالآخر وحضارته من ناحية العمران والنظام السياسي والسلوك الحضاري، وراحوا يلتمسون الأساليب للإقتباس والإحتذاء في الجوانب العلمية والتقنية، وحاولوا إنتقاء الإنجازات الحضارية التي تعود على بلادهم بالنفع والفائدة، ثم تحولت الرؤية إلى الشكل الانبھاري الإيجابي في

١- اشكال الصراع الحضاري في الرواية العربية مقارنة نفسية، شريف موسى عبد القادر، دار الشروق، لبنان، بيروت، ٢٠٠٩ :

١٠.

٢- الحلم والرمز والاسطورة، شاکر عبد الحمید ، دار الشروق، مصر ، القاهرة، ١٩٩٨ : ٣٢٣.

بدايات القرن العشرين مع الكتاب الذين توجهوا للغرب طلباً للعلم؛ حيث تعدوا النظرة الأولى السطحية في الإنبهار بحضارة الآخر وحرية إلى رؤية متعمقة لمعرفة السر لتقدم الغرب ورقية. وفي الوقت نفسه متمسكين بقيم الشرق الروحانية وعاداته وتقاليده.

إن الذات الشرقية سافرت للغرب ومعها حضارة بلادها ومبادئها التي تختلف اختلافاً كلياً عن حضارة الغرب؛ من أجل فهم واستيعاب عقلي ووجداني عميق للغرب وعالمهم الذي صار قريباً، ولكن دون التملص من الانتماء إلى الشرق بإيجابياته وسلبياته، بل عبر فهم ضمني للصراع الحضاري بين الشرق والغرب وفي مرحلة تشهد بلا شك تفوقاً حضارياً الأمر الذي ربما كان وراء تباين مواقف ابطال هذه القصص<sup>(١)</sup>.

يُعتبر الآخر بكل ألوانه وأطيافه ذو خصوصياتٍ وسماتٍ تُبرز ماهيته ومعدنه، ولا يمكن إدراك هذا الآخر إلا بإدراك الذات التي تساهم بشكلٍ أو بآخر في التعرف على ذاتها إنطلاقاً من هذا الآخر، واعتماداً على الفروقات والإختلافات والتناقضات التي توصل وتحمك العلاقات المتباينة والصراعات الظاهرة والباطنة، المكشوفة والمخفية بين الذات والآخر؛ مما أضفى على الآخر صبغة التفرد والإختلاف منذ الأزل إلى عصرنا المعاصر، ويبقى الآخر حاملاً لمعاني

١- الرواية العربية المعاصرة والآخر، دراسات أدبية مقارنة، نجم عبد الله كاظم، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط١، ٢٠٠٧

الفوقية والتقدم والتطور في إنتظار لحاق الذات التي لا تزال رابضةً في مكانها تنتظر وتنددُ وتتمنى رفع رأسها الذي أتعبته الطأطأة.

وبعد إستعراض أثر الفن في إظهار صورة الأنا وبوصف الأدب جزءاً من هذا الفن يمكنُ القولُ أن موضوعة الذات والآخر قد حظيت بإهتمامٍ بالغٍ في الدراسات النفسية والفلسفية والأدبية ومحل النظر إليهما بوصفهما جزءاً لا ينفجراً من هذا المجتمع فيحققان التكامل والاندماج، فلا يمكن أن يعي الفرد ذاته إلا من خلال معرفة الآخر بوصفه مرآة الذات، لذا فإن أية قطيعة أو فصلٍ عن الآخر يعملُ على تحطيم الأنا ويهددها بالضياع والتهميش فتفقد مكانتها بين المجتمع.

تمرد ذات نازك الملائكة على الشعر نتج عنه مجموعتها القصصية الوحيدة (الشمس التي وراء القمة)، والتي أصدرها المجلس الاعلى للثقافة في الكويت في عام ١٩٩٧، تحوي هذه المجموعة سبع قصص وهي: ياسمين، ظفائر السمراء عالية، منحدر التل، الى حيث النخيل والموسيقى، رحلة في الابعاد، الشمس التي وراء القمة، وقناديل لمنذلي المقتولة. قدم وعلق عليها كل من ولدها البراق عبد الهادي، وزوجها ابو البراق عبد الهادي محبوبة.